ملحقات

١ - الوثية الأولى : قصيدة الرندى .
٢ - الوثيقة الثانية : خاصة ليوسف بن تاشفين .
٣ - الوثيقة الثالثة : كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس .

* * *

تقديم

استكمالاً للفائدة ، بعد أن حرص مفكرنا الكبير الدكتور رشدى فكّار فى حواره أن يدع الأندلس يتحدث عن نفسه فى كل مرة تملى طبيعة الوقائع والأحداث ذلك ، أفردتُ هذه الملحقات لذكر وثائق نتذكرها ونستعيد ذكرها ، وهى ليست بالجديدة فى نشرها أو المجهولة لدى المتخصصين والمختصين ، وإنما اختيرت إما لعمق مضمونها وارتباطه بمأساة الأندلس عبر كل الأجيال ، كما هو الحال فى الوثيقة الأولى التى تتضمن رائعة الاندلس ، التى نسبت للفقيه أبو يحيى صالح بن شريف الرندى بمطلعها « لكل شىء إذا تم نقصان » ، وإما لما ترمز إليه الوثيقة من تذكير بقلعة من قلاع المجد ، يوسف بن تاشفين ، هذا القائد الذى يُجَسِّد هذه النوعية من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، نذكره اليوم وبكل اعتزاز من خلال كلماته الواعية ومواقفه القادرة ، لنؤكد لمن فى حاجة إلى تأكيد أن معين هذه الأمة لم ولن ينضب أبداً ، وهذا هو موضوع « الوثيقة الثانية » من الملحقات . وأما « الوثيقة الثالثة والأخيرة » من هذه الملحقات ، فقد اختبرت لما فيها من تصوير مفعل وتذكير فى غنى عن كل بيان بهذه الفئة الانتهازية التى احترفت بيع الشعارات وتزييف الكلم والسمسرة به ، لتحقيق مآربها التى كثيراً ما تتم على حساب الأمة لا لحسابها ، إنها الوثيقة التى عُرِفت بـ « كتاب ابن الأحمر إلى صاحب فاس » ، كتاب السلطان أبى عبد اللّه بن الأحمر المخلوع الذى بعث بها إلى الشيخ الوطاسى صاحب فاس توسلاً وتملقاً ، وهى من إنشاد الأديب أبى عبد اللّه محمد بن أبى عبد اللّه العقيلى ، عرضناها بنصها وشروحها كما هى ، تتممة لهذا الحوار رغم طولها دونما اختزال أو تدخل ، أو تداخل أو إيجاز ، أوردناها هكذا وفاءً منا لمن

أوردها من قبلنا وهوالمقرىء التلمسانى « أزهار الرياض فى أخبار عياض » حيث قال فى نهايتها نصاً (ص ٢٠٢) : « انتهى الكتاب وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعاظم الكبار » ، غير أننا نتباين معه فى نعته لهؤلاء الملوك على أنهم « الأعاظم الكبار » وهم ملوك خلعوا وأضاعوا ممالكهم ، فاستبدلنا « الأعاظم » بالقماقم ، كما استبدلنا نعت « الكبار » بالصغار ، تلاعبوا بمصير أمتهم ، فعانوا من نفس المصير .

* * *

ملحق (١)

الوثيقة الأولى « قصيدة الرندى »

كما جاءت عند : علىّ بن أبى زرع الفاسى ، « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » ، (الرباط ، من مطبوعات دار المنصور ١٩٧٢ ص ١١٢ وما يليها) .

وقد ذكرت القصيدة ضمن أحداث سنة ٦٦٥ هـ ، حينما تعرَّض المؤلف لما جرى فيها من نكبات حلّت بالمسلمين ، وما تم من استسلام للألفونش حيث قال نصاً : « وفيها (أى فى هذه السنة) صالح ابن الأحمر الفونشى على أن أعطاه ابن الأحمر نحو أربعين مسوِّراً من بلاد المسلمين من جملتها شريش والمدينة والقلعة ، وقيل إن جملة ما أعطاه ابن الأحمر للألفونش من بلاد المسلمين من المدن والحصون المسوَّرة مئة مسوَّر وخمس مسوَّرات من بلاد شرق الأندلس .

وفيها استعان ابن الأحمر بالفونش على قتال ابن أشقيلولة الثائر عليه بمالقة ، فنزلوا عليه بها ثلاثة أشهر ولم يقدروا منها على شىء فانصرفوا عنه خائبين .

ولما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكورة للألفونش قال الفقيه أبو محمد صالح ابن شريف الرندى يرثى بلاد الأندلس ويستنصر بأهل العدوة من مرين وغيرهم بهذه القصيدة :

لكل شىء إذا ما تم نقصان ... فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان

هى الأمور كما شاهدتها دول ... مَن سره زمن ساءته أزمان

وهاذه الدار لا تُبقى على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتماً كل سابغة ... إذا نبت مشرفياتٌ وخرصان

وينتضى كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذى يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان

وأيــن مـا شاده شـدّاد فـــى إرم ... وأيـن ما ساسه فى الفرس ساسان

وأيــن ما حــازه قارون من ذهب ... وأيـــن عـــاد وشـــدّاد وقحطان

أتا علـــى الكـــل أمرٌ لا مردَّ له ... حتـى قضوا فكأن القوم ما كانوا

تخلّفـــوا عِبـــراً وأصبحـوا خبراً ... كمـــا حكـا عن خيال النوم وسنان

دار الزمـــان علـــى دارا وقاتله ... وأمّ كســـرا فمـــا آواه إيـــوان

كـــأنما الصعب لم يسهـل له سبب ... يـــوماً ولا ملكَ الدنيا سليمـــان

فجائـــع الدهـــر أنـــواع منوّعة ... وبعضها فوق بعض وهى ألـــوان

وللحـــوادث سلـــوان يسهلهـا ... وما لما حَـــلَّ بالإســـلام سلوان

دهـــا الجـــزيرة خَطْبٌ لا عزاء له ... هـــوا له أُحـــد وانهدَّ ثهـــلان

أصابها العيـن فى الإسلام فامتُحِنَت ... حتـــى خلت منه أوطان وبلـــدان

فســـلْ بلنسية مـــا شأن مرسية ... وأيـــن شاطبة أم أين جيان

وأيـــن قرطبـــة دار العلـوم فكم ... مـــن عالمٍ قـــد سما فيها له شان

وأيـــن حمص ومـــا تحويه من نُزَهٍ ... ونهـرها العذب فيّاض وملآن

قواعـــد كـــن أركان البـلاد وما ... عسا البقاءُ إذا لم تبق أركان

تبكـى الحنيفية البيضاء من أسف ... كمـا بكت لرســـول اللّه أجفـــان

علـــى بيوت مـــن الإسلام عاطلة ... كأنهـــا لم تكـــن بالذكـــر تزدان

صارت كنائس قـد طال الضلال بها ... فليـــس إلاّ نواقيـس وصلبـــان

حتـى المحاريبُ تبكى وهى جامدة ... حتـــى المنابـر ترثى وهى عيدان

أغـافـــلاً وله فـى العيش موعظة ... إن كنت فـــى سِنَةٌ فالدهـر يقظان

ومـــاشيـــاً مـــرحـــاً يلهيه موطنه ... أبعـد حمص تغـــر القـوم أوطان

تلك المصيبـــة أنست مـــا تقدّمها ... ومـــا لها مـــع طول الدهر نسيان

يا راكبيـــن عتاق الخيـــل ضامرة ... كـــأنها فـــى مجـال السبق عُقبان

وحامليـــن سيوف الهنـــد مـرهفة ... كأنهـــا فـــى ظلام النقع نيـــران

وراتعيـــن وراء البحـــر فى دعة ... لهـــم بأوطانهـــم عـــز وسلطان

أعنـــدكـــم خبر مـــن أهل أندلس ... فقـــد ســـرا بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بها المستضعَفون وهم ... أســـرى وقتـــلا فلا يهتم إنسان

مـــاذا التقاطع فى الإسلام بينكم ... وأنتـــم يا عبـــاد اللّه إخـــوان

يامـــن لذلة قـــوم بعـــد عزتهم ... كأنهـــم وهـــم الأحـــرار عبدان

ألا نفـــوس أبيـــاتٌ لها هِمَـــمٌ ... أما علـــى الخيـــر أنصار وأعوان

بالأمس كـــانوا ملوكاً فى منازلهم ... واليـــوم هم فى بلاد الكفر عبدان

فلـــو تراهـــم حيـــارا لا دليل لهم ... عليهـــم مـــن ثيـاب الذل ألوان

ولو رأيتَ بكـــاهـــم عنـد بيعهم ... لهالَكَ الأمـــر واستهوتك أحزان

كـــم مـــن أسير بحبل الذل معتقل ... كـــأنه ميت والذل أكفـــان

يارُبَّ أُمٍّ وطفـــل حيـــل بينهمـــا ... كمـــا تُفَـــرَّق أرواح وأبـــدان

وطفلة ما رأتها الشمس قد برزت ... كـــأنمـــا هـــى ياقـــوت ومرجان

يقـــودها العلج للمكـــروه مُكرهة ... والعيـــنُ باكيـــةٌ والقلبُ حيـــران

لمثـــل هاذا يـــذوب القلب من كمدٍ ... إن كـــان فـــى القلب إسلام وإيمان

* * *

ملحق (٢)

الوثيقة الثانية خاصة ليوسف بن تاشفين

ويطالعنا رمزاً من قلاع المجد ، يجسده هذا القائد المتميز يوسف بن تاشفين ، الذى صاح فى رجاله وهو يعبر بهم إلى الأندلس فى يوم الخميس عند الزوال فى منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ (٣٠ يونيو ١٠٨٦ م) - (كما ورد فى « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » لأبى على بن أبى زرع الفاسى ، المنشور سنة ١٩٧٣ عن دار المنصور للطباعة بالرباط ص ١٤٥) ، حيث حينما ركب السفينة واستقر على ظهرها ، رفع يديه ودعا الله تعالى ، وقال فى دعائه : « اللّهم إن كنتَ تعلم أنَّ فى جوازى هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين ، فسهِّل علىَّ جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبِّه علىَّ حتى لا أجوزه » ، فسهَّل الله عليه الجواز فى أسرع ما يكون ... » .

إنه أمير المسلمين المؤمن يوسف بن تاشفين الذى هو بحق من خير مَن يستشهد بهم التعبير عن أنفة هذه الأمة وشموخها وقدرتها على المواجهة ، هذا القائد الواعى والذى كان يردد فى كل مجلس من مجالسه ما ذكره له صاحب « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » ونعنى به عبد الواحد المراكشى ، (الطبعة السابعة ١٩٧٨ ، عن دار الكتاب بالدار البيضاء ، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ص ٢٤١) ، حيث يقول يوسف بن تاشفين بصدد الأندلس ، هذا المنقذ لأندلس متهاوى قبل أن يتحوّل إلى فردوس مفقود ، يحدِّد عرضه بوضوح : « إنما كان غرضنا فى مُلك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدى الروم لما رأينا استيلاءهم على أكثرها وغفلة ملوكهم واعمالهم للغزو ، وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم للراحة ، وإنما همة أحدهم كأس يشربها ، وقينة تُسمعه ، ولهو يقطع به أيامه ، ولئن عشتُ لأعيدن جميع البلاد الذى ملكها الروم فى طول هذه الفتنة إلى المسلمين ، ولأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً لا عهد لهم بالدعة

ولا علم عندهم برخاء العيش ، وإنما هَمُّ أحدهم فرس يروضه ويستفرهه أو سلاح يستجيده أو صريخ يلبى دعوته .... » .

ويضيف المراكشى (ص ٢٤٢) : « فبلغ ذلك ملوك النصارى فيزداد فرقهم ويقوى مما بأيدى المسلمين بل مما بأيديهم بأسهم » .

وهكذا كان لهذا العملاق يوسف بن تاشفين الحق أن يُنعَت من معاصريه بأمير المسلمين والمسترد لجزيرة الأندلس بأسرها ، هذا المرابطى الذى عُدَّ وابنه فى عصره - كما ذكر المراكشى فى نفس الصفحة - من أكابر الملوك ، وأفردنا له هذا الجانب فى ملحقاتنا الثلاثة لنجسد به كمثال قلعة من قلاع المجد ، على أن نُفرد الملحق التالى لمثال من بؤر الضياع فى انتظار استعادة الأندلس ، ولِمَ لا ؟ إن لم نستطع كواقع ملموس ، فلنستعده على الأقل فى أذهاننا بقلاع مجده وبؤر ضياعه .

* * *

ملحق (٣)

كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس

كما جاء نصاً عند شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانى « أزهار الرياض فى أخبار عياض » (الرباط ، منشورات صندوق التراث الإسلامى المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٧٨ - (من ص ٧٢ إلى ص ١٠٢).

« ولا بأس أن نُورد كتاب السلطان أبى [١] عبد الله بن الأحمر المخلوع المذكور ، الذى بعث به لصاحب فاس [٢] فى ذلك العهد ، تمهيداً لعُذْره ، وتوطئة لمقصده ، وتَطارُحاً على تلك الأبواب وتمَلُّقاً ، وتمسُّكاً بذلك الجَناب وتعلُّقا ، وهو فـى الغاية [٣] من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، الناثر الكاتب ، المُجيد البارع البليغ ، أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلىُ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر [٤] الأنفاس ، فى التوسل إلى المولى الإمام سلطان ، فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح [٥] :

« مَـولَى الملوكِ ملوكِ العُرْب والعَجَم رَعْيًا لِمَا [٦] مِثْله يُرْعَى مِنَ الذِّمَمِ
بـــك استجـــرْنَا ونِعمَ الجارُ أنتَ لمن جـــار الزمـان عليه جَوْر مُنتقِم

---

(١) فى (ط) : « أبا » وهو تحريف .
(٢) هو الشيخ الوطاسى سلطان فاس .
(٣) فى (ت) : « وفى الغاية » .
(٤) كذا فى (ت) ونفح الطيب ، وفى (ط) : « العطير » .
(٥) كذا فى (ت) ونفح الطيب ، وفى (ط) : « افتتاح » .
(٦) فى نفح الطيب : « لمن » .

حتـــى غـــدا مُلكُـــهُ بالرُّغْم مستلبا ... وَأَفْظَعُ الخَطْبِ ما يأتى على الرُّغَم

حُكْـــمٌ مـــن اللهِ حَتـــمٌ لا مـرَدَّ له ... وهـــلْ مرَدٌّ لحكمٍ منه مُنْحَتِم (١)

وَهْـــىَ الليالـــى وقـــاكَ اللهُ صَوْلَتَها ... تَصُولُ حتى عَلَى الآساد فى الأَجَم

كنـــا مُلُـــوكاً لنا فـــى أرضنا دُوَلٌ ... نِمْنَا (٢) بها تحت أفْنَانٍ من النِّعَم

فأيقظتنـــا سِهـــام للـــردَى صُيُبٌ ... يُرْمَى بأفْجَع حَتْفٍ مَنْ بهنَّ رُمِى

فـــلا تَنَـــمْ تحـــتَ ظِلِّ المُلكِ نَوْمَتَنَا ... وأىُّ مَلْكٍ بظـــل المُلْـــك لم يَنَم

يبكـــى عليـــه الذى قد كان يعرفه ... بأدْمُـــعٍ مُـــزِجَتْ أَمْوَاهُهَا بِدَم

كـــذلك الدهـــرُ لم يَبْرَحْ كما زَعَمُوا ... يُشِمُّ بَوَّ الصِّغَارِ (٣) الأنْفَ ذا الشُّمِ (٤)

وَصِـــلْ أَوَاصِرَ قد كانَتْ لنا اشتبكتْ ... فالمُلك بين ملوك الأرض كالرَّحِم

وابْسط لنا الخُلُـــقَ المـــرجوَّ باسطُه ... واعطِف ولا تنحرِف واعذِرْ ولا تَلم

لا تَأْخُـــذَنَّا (٥) بأقـــوال الوُشَاةِ ولمْ ... نُذْنِبْ ولو كثرتْ أَقْوَالُ ذى الوَخَم

فما أطَقْنَـــا دِفـاعاً للقضاء وما (٦) ... أرادَت أنفسُنا مـا حـــل من نِقَم

ولا ركُـــوباً بإزعـــاجٍ لسابحـــة ... فـــى زاخـرٍ بأكُفِّ الموجِ مُلْتَطِم

---

(١) كذا فى الأصلين وإحدى روايتى نفح الطيب ، ولم ترد صيغة « انحتم » فى المعاجم التى بين أيدينا . وفى رواية أخرى لنفح الطيب : « منحسم » .

(٢) فى(ت) « نما » ، وهو تحريف .

(٣) البو : جلد الخوار يُحشى تبناً ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصَّغَار : الذل .

(٤) فى (ط) « ذو الشمم » .

(٥) كذا فى (ط) ونفح الطيب طبعة أوروبا . وفى (ت) ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « لا تأخذونا » .

(٦) فى (ت) : « ولا » .

والمرءُ ما لم يُعنه اللّهُ أضيعُ من ... طِفـــل تَشَكّـــى بفقد الأمِّ فى اليُتُم
وكلٌ ما [1] كان غير اللّه يحرسُهُ [2] ... فـــإنّ محـــروسَه لَحْمٌ عَلَى وَضَم [3]
كُنْ كالسموءل إذ سار الهمام له ... فـــى جَحْفَلٍ كسواد اللّيْل مُرْتَكِم [4]
فلم يُبِحْ [5] أدْرُعَ الكندىّ وَهْوَ يَرى ... أن ابنـــه البَرَّ قد أشفَى عَلَى الرَّجَم [6]
أو كالمُعَلّى [7] مع الضِّلّيل الأرْوَع إذ ... أجـــاره مـــن أعاريبٍ ومِنْ عَجَم
وصار يشكره شكراً يكافىء ما ... أسْـــدَى إليـــه من الآلاءِ والنِّعَم
ولا تعاتبْ على أشياءَ قد قُدِرَتْ ... وخُطَّ مسطورُها فى اللّوح بالقلم
وعَدِّ عما مضى إذ لا ارتجاع لهُ ... وعُـــدَّ أحرارَنا فـــى جُملة الخَدَم
إيه حنانَيْك يابن الأكرمين على ... ضيـــفٍ ألَمَّ بفاسٍ غيـــرِ محتشِم [8]
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت ... بِنا [9] إليها خُطَا الوَخّادَة الرُّسُم [10]
رُحماك يا راحماً يُنْمَى إلى رُحَمَا ... فى النفس والأهل والأتباع والحَشَم
فكم مواقفَ صِدقٍ فى الجِهاد لنا ... والخيـــلُ عالكـــةُ الأشداق لِلُّجُم
والسيف يَخْضِبُ بالمحمرّ من عَلَقٍ ... ما ابيضّ من سَبَل واسودّ من لِمَم [11]

---

(١) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وفى ت : « من » .

(٢) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ض) : « ما كان غير اللّه يحرصه فإن محرصه » ، وهو تحريف .

(٣) الوضم : خوان القصاب ، وهو ما يقطع عليه اللحم ويهيئه .

(٤) الجحفل : الجيش الجرّار . ومرتكم : متراكم . (٥) فى (ط) : « فلا » .

(٦) الرجم : جمع رجمة ، وهى الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٧) المعلى : هو أحد بنى تيم ، وكان قد أجار امرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٨) إيه : أى حسبك . (٩) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « منا » .

(١٠) الوخادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء .

(١١) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللمم : جمع لمة ، وهى شعر الرأس الذى يلم بالمنكبين .

ولا ترى صَدْرَ عَضْبٍ غيرَ مُنْقَصِفٍ ... ولا ترى مَتْنَ [1] لَدْنٍ غيرَ مُنْحَطِمِ

حتى دُهينا بِدَهْيا لا اقتدارَ بها [2] ... سِوَى على الصَّوْنِ للأطفال والحُرَمِ

فقال مَنْ لم يشاهدْها فَرُبَّتَمَا ... يُخال جامحها يُقتاد بالخُطُمِ

هيهاتَ لَوْ زَبَنَتْه الحرب كان بها ... أعيا يدا من يد جالت على زَلَمِ [3]

تاللّهِ ما أضمرت غِشًّا ضمائرنا ... ولا طَوَتْ صِحَّةً منها على سَقَمِ

لكنْ طلبنا من الأمر الذى طلبت ... وُلاتُنا [4] قبلنا فى الأعْصُرِ الدُّهُمِ

فخاننا عنده الجَدُّ الخَئون ومَنْ ... تَقْعُدْ به نكَباتُ الدهر لم يَقُمِ

فاسودَّ ما اخضرَّ من عيش دَهَتْه عِدًا ... بالأسمر اللَّدْن أو بالأبيض الخَذِمِ [5]

وشتَّت البَينُ شَمْلا كان منتظما ... والبين أقطع للموصول من جَلَمِ [6]

فرُبَّ مَبْنًى شديد قد أناخ به ... ركْب البَلاَ فَقَرَته أدمع الدِّيَمِ [7]

قمنا لديه أُصَيلاناً نسائله ... أعيا جوابا وما بالربع من أرَمِ [8]

وما ظننا بأن نبقى إلى زمن ... نرى به غُرَرَ الأحباب كالحُمَمِ [9]

لكن رِضًا بالقضا الجارى وإن طُوِيت ... منا الضلوعُ على بَرْحٍ من الألمِ

---

(١) فى (ت) : « مثل » .

(٢) فى (ت) : « بدهى لا اقتدار بنا » .

(٣) كذا فى (ت) . والزلم - بفتحتين ، أو بضم ففتح - : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية . وفى (ط) ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفى نفح الطيب طبعة أوربا : « رخم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللائم أضعف من يد تجيل قداح الميسر .

(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « ولاته » . وفى (ط) : « ولاية » .

(٥) الأسمر اللدن : الرمح . والأبيض الخذم : السيف القاطع .

(٦) الجلم : المقراض .

(٧) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة يدوم مطرها أياماً .

(٨) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من إرم : أى من أحد .

(٩) الغرر : جمع غرة ، وهى بياض الجبين . والحمم : الفحم الأسود ، الواحدة حُمة (بالضم) .

لَبَّيْكَ يا مَـــنْ دعـــانا نحو حَضرته ... دعـــــاء إبـــراهِمَ الحُجَّاج للحَرَمِ

وأعْـطِ الأمْن [1] الذى رُصَّتْ [2] قواعده ... علـــى أساسِ وفـــاءٍ غيرِ منهدِمِ

خليفـــةَ اللّـــه وافـــاك العَبيدُ فكن ... فـــى كـل فضل وطَوْل عند ظَنِّهِم

وبيـــــن أســـلافنـــا ما قد علمتَ به ... مِـنِ اعتقادٍ بحكم الإرث مُقْتَسَم

وأنت منهـــمْ كأصـــل مُطْلِـــع غُصُناً ... أو كالشِّـــراك الذى قَـــدَّ قُـــدَّ مِنْ أدَم

وقـــد خَطـــوْت خُطاهم فى مآثرهم ... فلـــم يُـــذَمُّوا إذنْ فيها ولم تُذَم [3]

وصِيتُ مَولَى الورى الشيخ الإمام غدا ... فـــى الناس أشهـــرَ من نارٍ على عَلَم

بسُـــلالةِ الأمـــراءِ ، الجِلّةِ الكبَـــرَا ... ءِ ، العلِيّة الظُّهراءِ ، القادة البُهَم [4]

بنـــو مَـــرِينَ لُيُوثٌ فـــى عرينَ أبَوْا ... رؤيـــا قـــرينٍ لهم فى البأس والكرم

النازلين مـن البيضاء [5] وَسْط حِمىً ... أحْمَـــى مِـــن الأبْلق السامى ومن إرَم

والجـــائسينَ بـــدُهْم الخيل كل ذَرىً ... والدّاعسين بسَمْر الخط كل كَمِى [6]

يريـــك فارسُهـــم إن هَـزَّ عامله [7] ... فى مَأزِقٍ [8] بلظَى الهيجاء مُضْطَرِم

لَيثا علـــى أجْـــدلٍ عار مِنَ أجنحةٍ ... يَسْطـــو بأرقمَ لَدّاغ بغير قَمِ [9]

---

(١) فى نفح الطيب : « واعط الأمان » .

(٢) فى (ت) : « رست » .

(٣) لم تذم : لم تعب . يقال : ذامه يذيمه : إذا عابه .

(٤) الظهراء : جمع ظهير ، وهو النصير . والبهم : جمع بُهمة - بالضم - وهو البطل الشجاع .

(٥) البيضاء : فاس الجديدة .

(٦) الجائسين : الذين يترددون خلال الدور والبيوت فى الغارة . وكل ذرى : كل ناحية . والداعسين : الطاعنين . وسمر الخط : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين . والكمى : البطل المتستر فى سلاحه .

(٧) عامل الرمح : صدره .

(٨) فى الأصلين ونفح الطيب : « مارق » ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٩) الأجدل : الصقر ، شبَّه به الحصان فى سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبَّه به الرمح

فـــى اللام يُدْغِم من عَسّالِه أَلِفاً ... ولـــم نجـد ألِفاً أصلا بمدَّغَم [1]

أهلُ الحفيظة يوم الرَّوع يحفظهم ... مـن عصمة اللّه ما يُرْبى على العصَم [2]

بَأْسٌ [3] تَطير شَرارٌ منه محرقة ... لكـــل مَـــدَّرعٍ بالحـزْم مُحْتَزَم

هُمُ [4] بطائفة التثليث قد فتكوا ... كمثـــل ما يفتك السِّرْحان بالغَنَم [5]

وإنْ يُلَثَّمْهُمُ يـومَ الوغَـــى رهَجٌ ... أنْسَوْك مـا ذكروه عن ذوى اللُّثُم [6]

تضـــىء آراؤهم فى كل مُعضلة ... إضـــاءةَ السِّرْج فى داجٍ مـن الظُّلَم

هـــذا ولو من حياء ذاب محتَشِمٌ ... لذاب منهـــم حياءً كـــلُّ محتشم

طابت مدائحهم إذْ طابَت أنفسهُمْ ... فـاشْتَقّت النُّسَمات اسْما من النَّسَم

للّهِ دَرُّهُـــمُ والسُّحْـــب باخلـة ... بدَرِّهـــن علـــى الأنْعـام والنِّعَم

بحيث الأفْقُ يُرى من لَوْن حُمْرَتِه ... كـالشيب يُخْضَبُ بالحِنّاء والكتَم [7]

هنـــاك تَنْهَلُّ أيديهمْ بصوبِ حَياً ... يُحيى بالأجداث ما فيها من الرِّمم [8]

---

(١) اللام : مسهلة عن اللأم ، جمع لأمة ، وهى الدرع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبّهه فى استقامته بالألف . وفى البيت توريه .

(٢) العصم : ما يعتصم به الناس فى الحرب من معاقل وشبهها ، يريد أنهم محوطون من عناية اللّه وحياطته بما لا تفى بمثله المعاقل والحصون .

(٣) فى (ت) ونفح الطيب : « يامن » .

(٤) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « وهم » . (٥) السرحان : الذئب .

(٦) كذا فى (ت) ونفح الطيب . والرهج : الغبار تثيره الحرب . وفى (ط) : « وهج » . وذرو اللثم : يريد الملثمين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .

(٧) الكتم (كسبب) : نبت يُستعمل فى خضاب الشَعر . يصفهم فى هذا البيت والذى قبله بالجود فى أزمان القحط والشدة .

(٨) تنهل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجداث : القبور .

وإنَّ بَيْتَـــيْ زيـــادٍ طالما ذُكِـرا ... إذا ألَمَّتْ أحـــاديث بذِكْرِهِم [1]

« أحْـــلام عـــاد وأجساد مُطَهَّرَةٌ ... من المَعَقَّةِ والآفات والإثَم » [2]

يَـــرَوْنَ حَقا عَليهـمْ حفظَ جارِهِم ... فلـــم يُضَـرْ نَازِلٌ فيهم ولم يُضَمِ

فَرُوعُه [3] بالدواهى لا يُرَاع ولاَ ... يُغَمُّ منها بما يعرو من الغُمَم [4]

هـــم البحـار سَماحا غير أنّ بها ... ما قد أناف على الأطواد [5] من هَمم

وليس يسلم مـــن حَتْف محاربُهُمْ ... حتـــى يكون إليهمْ مُلْقِيَ السَّلَم

كـــم فيهمُ من أمير أوحَدٍ نَدُسٍ ... يُقَـرْطِسُ الغَرَضَ المقصود بالفَهَم [6]

ولاَ كسِبْط أبى حَسُّونَ مَنْ حَسُنَتْ ... أمداحـــه حُسْنَ ما فيه من الشِّيَم [7]

---

(١) زياد : هو النابغة الذبيانى .

(٢) المعقة : العقوق . والإثم : جمع إثمة ، وهى الإثم . وهذا البيت من مقطوعة للنابغة أبياتها أربعة فى مدح الغساسنة ، وقبله :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... فضل على الناس فى اللأواء والنعم

ولعل الناظم يعنى هذين البيتين .

(٣) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « فروعهم » .

(٤) الروع : موضع الفزع من القلب .

(٥) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ص) : « الأطراء » .

(٦) الندس (كعضد وكتف وسهم) : الفطن لفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٧) أبو حسون : هو أبو الحسن على بن محمد الشيخ بن أبى زكريا يحيى بن زيان الوطاسى ، يُعرف بأبى حسون الباذسى ، بويع بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة . (انظر بقية أخباره فى الاستقصا للسلاوى) .

هَذَا كُمُ ابنُ أبى زكرِى [1] الهمامُ فقلْ ... فى أصله المنتقى من مجده العَمَ [2]

خليفــةُ اللّه حقــا فــى خليقته ... كنائب ناب فى حكمٍ عَنِ الحَكَمِ

مهما تُنرْ قَسِماتٌ [3] منه نَيِّرَةٌ ... تُنِلْ بَنانٌ له ما جَلَّ مِن نِعم [4]

فَــوَجْهُــهُ بدُجُــىٍّ وكفُّه بجَدا ... أبْهَى من الزَّهر أوْ أنْدَى من الدِّيَمَ [5]

وفضله ولــه الفضـل المبينُ جرى ... كجـرى الأمثال فى الأقطار والأمم

وجــودُه المتــوالــى للبريَّة ما ... وجــــوده بينها طُــراً بمنهــدم

إذا ابتغتْ نِعَمــاً منه العُفاة لهُ ... لم يسمعوا كِلْمة منه سِوَى نَعَم

وإنْ يُعَبِّسْ زمــانٌ فــى وُجُوهِهِمِ ... لم يُبصروا غير وجه منه مُبتسم

وجْــهٌ تَبين سِماتُ المَكْرُمات به ... كما تَبين سماتُ الصِّدق فى الكَلِمِ

وراحــةٌ لــم تزل فى كل آونةٍ ... فى [6] نَيْلها راحة الشاكى من العُدُم

للّهِ مــا التــزمتْهُ مــن نوافله ... أيّامَ لا قَــرْضَ مفــروضٌ بملتزَم

أنْسَى الخلائفَ فى حلم وفى شرف ... وفــى سخاء وفــى علم وفى فَهَم

فجــاز معتمِداً منهم ومُعْتضِدا ... وامتاز عــن قائم منهم ومعتصم

وناصرَ الدين فى الإقبال فاقَ وفــى ... مَحبَّة العلم أزْرَى بابنــه الحَكَمِ

---

(١) زكرى : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكرىّ (كعربى) - بتشديد الياء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .

(٢) العمم : التام

(٣) رواية هذا البيت فى (ط) :

مهما تشم نسمات منه نيرة ... تنل بنازله ما جَلَّ من نعم

(٤) قسمات الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .

(٥) الجدا : العطاء . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم أياماً .

(٦) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وفى (ت) : « من » .

أفعـــال أعـــدائه معتلـة أبدا ... متـــى [1] يَرُم جَزمها بالحذف تَنْجزم

فويل أهل الفَلاَ من حَيّة ذكَرٍ [2] ... { لِلمُتلَئِبِّ [3] } اللُّهام المجْـر مُلْتقِمِ [4]

رامُوا عداوة مَنْ إنْ شاء غادرهم ... مثـــل الأحـــاديث عن عادٍ وعنْ إرَم

فسوف يأكلهم مـــن جيشه لَجِبٌ ... بكـــل قَرْم إلى لُحْمَانِهِمْ قَرِم [5]

وإنّ الأعـــرابَ إذْ ساروا لغابته ... لسائرون إلـــى لَقْم على لَقَم [6]

وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِى ... بسعيه نحـــو حَتْفِى قد أراق دَمِى [7]

فقل إذنْ للمُناوِى النّاوِى الآنَ الأذى ... ياغِـــرُّ [8] غَرَّك ما أبْصَرْت فى الحُلُم

له صـــــوارم لو ناجتك ألْسُنها ... لبشّرتـــــك بُعْمر منـــك مُنْصَرِم

وإن رُوحَـــك عـــن قرب سيَقْبضه ... قبضَ المُسَلَّم ما قـد حاز من سَلَم [9]

فَهْـــو الذى مـــا له نِدٌّ يشابهُهُ ... مـــن كلّ مُتَّصف بالدِّهْىِ [10] مُتسِم

يُـــدَبّر الأمـــر تدبيراً يُخَلِّصُهُ ... مما عَسَى أن يُرَى فيه مِنَ الوَهَم

---

(١) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « حتى » . (٢) حية ذكر : شهم .

(٣) كذا فى نفح الطيب ، ويريد بالمتلئب : لجيش الممتد . وفى (ت) : « للملتئب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من (ط) . (٤) اللهام والمجر : هما بمعنى الجيش العظيم .

(٥) اللجب الجيش الكثير ، والقرم : السيد . واللحمان . جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد الشهوة لأكل اللحم .

(٦) كذا فى (ت) ونفح الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم - بالتحريك - : وسط الطريق . وفى (ط) : « ... تعم على لغم » .

(٧) يشير إلى قول أبى الفتح البستى :

إلى حتفى سعى قدمى ... أرى قدمى أراق دمى

(٨) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « يغر » .

(٩) المسلم : المسلف ، الذى يعطى ذهبا أو فضة على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه . (١٠) الدهى والدهاء : الفكر وجودة الرأى .

ويُبْصِـــر الغيب لحظُ الذهـن منه إذا ... تَعْمَـــى عَـــنِ ادراكه ألحاظ كُلِّ عَم

ويُنْعِـــمُ [1] النظرَ المُفْضِـــى بناظره ... لصوبِ وجـهِ صوابٍ واضح اللَّقَمِ [2]

ذو مَنطـــق لم تـــزل تجلـــو نتائجُهُ ... عـــن مُبْطِلٍ بخصام المبطِلِ الخَصِمِ [3]

ومِسْمَـــعٍ ليس يُصْغَـــى للوُشاة فلم ... يَنْفُق لديه الذى عنهـــم إليه نُمِى [4]

فعَقْـــله لا تـــوازيه العقول وهَـــلْ ... يوازِنُ الطودَ ما قد طال من أكَمِ

إِيهٍ جميـــعَ الورى مـــن بدوٍ أوْ حَضَرٍ ... نِـــدَاءَ مُـــرْتَبطٍ بالنُّصْح مُرْتَسِمِ

شُـــدُّوا وجِـــدُّوا ولا تَعْنُوا ولا تَهِنُوا ... قد لَفَّها الليلُ بالسَّوَّاقَةِ الحُطَمِ [5]

هـــذا الأميـــرُ [6] المَرِينِيُّ السعيدُ له ... سَعْـــدٌ يـــؤيّده في كلّ مُصْطَدَمِ

قـــد أقسمَتْ أنه المنصورُ ألسنةٌ ... مـــن نُخبـــة الأوْلِيا مَبْـــرورةُ القَسَمِ

فَشيَّعـــوه ووالَوه تَـــرَوْا عَجَبا ... وتظفَـــرُوا معَـــه بالأجْرِ والغنَمِ [7]

والحمـــد للّه إذْ أبقـى خلافَته ... كَهْفاً لنا مَـــنْ يُخَيَم فيه لَمْ يُرَمِ [8]

حِـــرْزٌ حَـــريز وعزّ قائم ونَدًى ... غَمْـــرٌ دِراكٌ بـــلا مَنٍّ ولا سَأَمِ [9]

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفى الأصلين : يمعن ، وهو يتعدى بحرف الجر . يقال : أمعن فى الأمر ، أى أبعد فيه . (٢) اللقم (كسبب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونمى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتذلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولفها : جمعها ، والضمير فى الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والتاء للمبالغة . والحطم : الشديد السوق ، وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم - وهو الممدوح - رجل قوى شديد .

(٦) فى نفح الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغنم - بالتحريك - : المغنم ، كالغنم - بالضم .

(٨) لم يرم : أى يعز على مَن يطلبه . (٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْـد يساعدُها ... فـى كـل مُبتدإ منه [1] ومختَتَمِ
فالله - عـزّ اسمه - قد زانها بحُلى ... من غُرّ أمْداحه كالدُّر فى النُّظُم [2]
الواهب الألف بعـد الألف مـن ذهبٍ ... كالجَمْر يلمع فى مُستوقَد الضَّرَم [3]
والفاعـلُ الفعـلَ لم يَهْمُمْ به أحد ... والقائـل القولَ فيه حكمةُ الحكَم
ذاكـم هو الشيخ فاعجب إنه هَرِمٌ [4] ... جُودا وحاشاه أن يُعْزَى إلى هَرَم [5]
وحسْبُنـا أنّ أيْدينا به اعْتصمتْ ... مـن حَبْله بوَثيق غيرِ مُنْفَصِم
فمـا مُحـالِفُـهُ يوماً بمُضطَهدٍ ... ولا مُـؤَالفُـه يـوماً بمهتَضَم
ولا مـوافيه فـى جَهْد بمطَّرَحٍ ... ولا مُصـافيـه فـى وُدّ بمُتَّهم
ولا مُحَيَّـا مُحَيِّيـه بمنكَشفٍ ... ولا رجـاءُ مُـرَجِّيه بمنخَرِم [6]
ومـا [7] تَكَـرُّمه سِرًّا [8] بمُنكَسِفٍ ... ولا تنكُّـرُه جهـراً بمُكْتَتَم
وليس لامِـحُ مَـرْآه بمكتئبٍ ... وليس راضـع جَـدواه بمنفَطِم
ولا مُقَبِّـلُ يُمناه الكريمةِ فـى ... محلٍّ مُمْتَهنٍ بل دَسْتِ مُحْتَرَم [9]
وما وسيلتنا العُظْمى إليه سِوَى ... ما ليس يُنْكَر ما فيها من العِظم
وإنما هِيْ وَمَا أدراكَ ما هِيَ مِنْ ... وسيلةٍ ردُّها أدْهَى مِنَ الرُّضَم [10]

---

(١) فى نفح الطيب طبعة أوربا : « منها » .

(٢) النظم : جمع نظام ، وهوالخيط ينظم فيه الخرز ونحوه .

(٣) فى (ط) : « الظلم » .

(٤) يريد أن الممدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبى سلمى ، المزنى .

(٥) فى نفح الطيب طبعة أوربا : « الهرم » .

(٦) بمنخرم : أى بمنقطع .

(٧) فى نفح الطيب (طبعتى أوربا ومصر) : « ولا » .

(٨) فى (ط) : « يوماً » .

(٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .

(١٠) كذا فى (ط) . والرضم : صخور عظام . وفى (ت) : « الوخم » .

نبيُّنا المصطفَـــى الهادى بخير هُدًى ... محمـــد خَيْـــرُ خلـــق اللّه كلّهم
داعى الورى مِنْ أُولِى خَيْم وأَهْلِ قُرًى ... إلـى طـــريق رشاد لاحبٍ أمَم [1]
عليـــه منّا صـــلاة اللّه ما ذُكِـــرَتْ ... « أمِنْ تَذكُرِ جيـرانٍ بذى سَلَم » [2]
ومـــا تَشَفّع فيهـــا بالشّفيـــع له ... دَخيلُ حُرْمته العَلْياء فى الحُرَم [3]

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [4] ، ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ ﴾ [5] ، ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [6] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [7] ، ﴿ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [8] .

أما بعدَ حمد اللّه الذى لا يُحْمَدُ على السَّرَاء والضَّرَّاء سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، الذى طلع الفجر بل البدْر فَلاح ، يَدْعو إلى سبيل كل فلاح ، أُولِى قلوب غافلة ، ونفوس سَواه ، والرِّضا عن آله وأصحابه ، وعِتْرته الأكرمين وأحزابه ، الذين تلَقَّوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ، وعزَّوزه ونصروه فى حالَىْ قُرْبه ونَواه .

فيا مولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ، لا حَطَّ اللّه تعالى لكم من العزة رُواقاً [9] ، ولا أذوى لدَوْحة [10] دولتكم أغصانا ولا أوراقا ، ولا زالت مخضرة العود ، { مبتسمة } [11] عن زهرات البشائر مُتْحفة بثمرات السُّعود ، ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون بُرُوق [12] ولا رعود :

---

(١) أهل خيم : أى ساكنى الخيام . واللاحب : الواضح . والأمم : البين . وقد ورد الشطر الأول من هذا البيت فى (ط) هكذا : « داعى الورى من أولى من أهل خيم قرى » .
(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيرى فى مدح الرسول ﷺ .
(٣) الدخيل : اللاجىء . والحرمة : الذمة .
(٤) الأعراف : ٢٣ (٥) الأعراف : ١٥٥ (٦) الممتحنة : ٤
(٧) محمد : ١١ (٨) الأنفال : ٤٠
(٩) الرواق : الخيمة ، يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .
(١٠) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال ، وأذوى : أذبل وأضعف .
(١١) الزيادة عن (ت) ، ونفح الطيب . (١٢) فى (ت) ونفح الطيب : « برق » .

هذا مقام العائذ بمَقامكم ، المتعلّق بأسباب ذمامكم ، المترجّى لعواطف قلوبكم ، وعوارف إنعامكم ، المقبِّل الأرضَ تحت قدامكم ، المتلجلج [1] اللّسان عند محاولة [2] مفاتحة كلامكم ، وماذا الذى يقول مَنْ وجهُه خَجِل ، وفؤادُه وَجِل ، وقضيّته المقضيّة عن التنصل والاعتذار تَجلّ ، بَيْدَ أنى أقول لكم ما أقوله لربّى ، واجترائى عليه أكثر ، واجترامى [3] إليه أكبر : اللّهم لا بَرىءٌ فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، لكنى مُسْتقيل [4] مُستنيل [5] مستعتب [6] مستغفر ، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوء ﴾ [7] . هذا على طريق التنزّل والاتصاف ، بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حَيِّز الإنصاف ، وأمّا على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الأمّ ابنة الصدّيق [8] : « واللّه إنى لأعلمُ أنّى إنْ أُقررتُ بما يقوله الناس ، واللّه يعلم أنّى منه بريئة [9] ، لأقولنّ [10] مالم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوننى ، فأقول ما قاله يوسف [11] : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، واللّهُ المُسْتَعانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [12] .

على أنّى لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدَن العيوب ، ولا أجْحَد ذُنوبى ، فأنا جَبَل الذنوب ، إلى اللّه أشكو عُجَرِى وبُجَرِى [13] ، وسَقَطاتى وغَلَطاتى . نَعَم ، كلّ شىء ولا مايقوله المتقوّل . المشنّع المهوّل ، الناطق بفم الشيطان المُسوّل . ومن أمثالهم : « سُبَّنى واصْدُق » ، ولا تَفْتَر ولا تَخْلُق ، فمثْلى كان يفعل أمثالَها ، ويَحمل [14] من الأوزار المضاعَفَة أحمالها ، ويُهْلك نفسه ويُحْبط

---

(١) فى (ط) : « والمتلجلج » .

(٢) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وفى (ت) : « عن مفاتحة » .

(٣) اجترامى : ذنبى .

(٤) مستقيل : طالب الإقالة من العثرة .

(٥) مستنيل : طالب النوال .

(٦) مستعتب : طالب العتبى ، وهى الرضا .

(٧) يوسف : ٥٣

(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

(٩) كذا فى نفح الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برىء » .

(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفح الطيب و (ط) : « لأقول » . وفى (ت) : « لا أقول » .

(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

(١٢) يوسف : ١٨

(١٣) العجر والبجر (هنا) : العيوب والأحزاز وما يبدى المرء وما يخفى . والعجر (فى الأصل) : العروق المتعقدة الناتئة ، والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

(١٤) فى (ط) ونفح الطيب : « ويحتمل » .

أعْمَالها ، عياذاً بالله من خُسْران الدين ، وإيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضَلَلْتُ إذَن وما أنا من المهتدين . وايمُ الله لو علمتُ شعرةً فى قَوْدى [1] تميل إلى الجهة لَقَلَعْتُها ، بل لقطَفْت [2] ما تحت عمامتى من هامتى وقطعتها ، غير أن الرِّعاع فى كل وقت وأوان ، للملك أعداءٌ وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحمقَ وأجهلَ من ابنِ ثَرْوان [3] ، أو أعْقَلَ وأعلم من أشجِّ بَنى مروان [4] ، ورُبَّ مُتَّهَم بَرى ، ومُسربَل بسربال وهو منه عَرِى [5] ، وفى الأحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية مُنْتِجٌ وعقيم ، ولكن ثَمَّ ميزان عقل ، تُعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد [6] ، ثم إشاعَة الإحماد ، المتصل المُتَماد ، وللمرجوح الاطّراح ، ثم الذم الصُّراح ، بعد النفض [7] من الراح ، وأكثر ما تسمعه الكذبُ ، وطبع جمهور الخلق إلاَّ مَن عصمهُ الله [8] إليه منجذب ، ولقد قُذفْنا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لا يُرْمَى [9] به الكُفّار ، فضلاً عن الفُجّار ، وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لكم منه حفظ الجبّار [10] ،

---

(١) كذا فى نفح الطيب ، وفى الأصلين : « من فؤادى » .

(٢) كذا فى (ط) . والقطف : القطع . وفى (ت) : « بل لقلعت » ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى ، والمضاف والمنسوب للثعالبى . وهو هبنقة القيسى يزيد بن ثروان ، المعروف بذى الودعات ، وهو مثل فى الحمق والجهل . وفى (ط) : « من أبى ثوران » . وفى (ت) : « من أبى ثروان » . وكلاهما تحريف .

(٤) أشج بنى مروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ومسربل بسربال عار وهو منه عرى » .

(٦) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « وعلى الراجح على الاعتماد » .

(٧) فى (ت) : « النقاض » . (٨) فى (ط) : « إلاَّ مَن عظَّم الله » .

(٩) في (ت) : « بما لم يرم » .

(١٠) كذا فى (ت) . ورواية هذه العبارة فى (ط) : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار » . وفى نفح الطيب : « وجرى ... وعمرو ما لديكم منه خط الجار » ، وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

وإذا عظم الإنكاء [1] ، فعلى تُكَأَة التجلُّد الاتكاء ، أكْثَر المكثرون ، وجَهَد [2] فى تعثيرنا المتعثِّرون ، ورَمَوْنا عن قوس واحده ، ونظمونا فى سلك المَلاحده ، أكْفراً أيضاً كُفرا ! غَفْراً اللّهمّ غَفْرا ، أعدْ نظراً يا عبد قيس ، فليس الأمر على ما خُيِّل [3] لك لَيْس ، وهل زِدْنا على أن طَلَبْنا حَقّنا ، ممّن رام مَحْقه ومَحْقَنا ؟ فطاردنا فى سبيله عُداة كانوا لنا غائظين ، فانفتق علينا فَتْق ، لم يمكنا له رَتْق ، وما كنا للغيب حافظين .

وبعد ، فاسألْ أهل الحل والعقْد ، والتمييز والنّقد ، فعند جُهَيْنتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يُؤْثِمنا فيُوبِقُنا ، أو يُبْرِئُنا فيَقينا . إيه يا مَنِ اشْرأبَّ إلى مَلامنا ، وقَدَح حتى فى إسلامنا ، رُوَيْداً رويدا ، فقد وجدتَ قوة وأيْدَا ، ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ، لأن الزمان لنا مُصْغِر ، ولك مُكْبِر ، والأمر عليك مُقْبل ، وعَنّا [4] مُدْبِر ، كما قاله كاتب الحجاج المدبِّر [5] .

وعلى الجملة ، فهبنا صرْنا إلى تسليم مقالك جَدَلا ، وذَهبنا فأقررْنا بالخطأ فى كل وِرْدٍ وصَدَر ، فللّه دَرُّ القائل :

* إن كنتُ أخطأتُ فما أخْطَا القَدَر * [6]

---

(١) كذا فى (ت) ونفح الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفى (ط) : « وإذا علم الإنكار » .

(٢) فى (ط) : « وجهر » .

(٣) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « ما خيلت لك » .

(٤) فى (ت) : « وعلينا » وهو تحريف .

(٥) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبى مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان بن عبد الملك حين دخل عليه فتنقصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتنى والأمر عن مدبر ، ولو رأيتنى والأمر علىّ مقبل استعظمتَ من أمرى ما استصغرت » (انظر البيان والتبيين جـ ١ ص ٢١٠ - ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .

(٦) هذا عجز بيت لأبى العتاهية ، وصدره : « هى المقادير فلمنى أو فذر » .

وكأنّا [1] بمعتسف [2] إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يعلّمه الهنا [3] ، قد ازْوَرّ متجانفا [4] ، ثم افترّ مُتَهانِفا [5] ، وجعل يتمثل بقولهم : « إذَا عُيِّرُوا قالوا مَقاديرُ قُدِّرتْ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا مَحَالة » [6] ، فيعارض الحق بالباطل ، والحالىَ بالعاطل ، وينزع بقول القائل : « رُبَّ [7] مُسْمِعٍ هائل ، وليس تحته من طائل » [8] . وقد فرغنا أوّلَ أمس [9] من جوابه ، وتركنا الضَّغْن يُلصق حرارة الجَوَى به ، وسَنُلِمُّ [10] الآنَ بما يُوسعُه تسكيتا ، ويَقْطعه تَبْكيتا . فنقول له : ناشدناك اللّه تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وعَرَض ، خروج أمر ما على القصد منك فيه والغرَض ، مع اجتهادك أثناءَه فى إصدارك وإيرادك ، فى وقوعه على وَفْق اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تروله بإدارتك ، لا يقع إلاّ مطابقًا لإرادتك ؟ أو كل ما تقصده وتنويه ، تُحْرِزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بُدّ أن يُقِرّ اضطرارا ، بأن مطلوبه يَشذُّ عنه مرارا ، بل كثيراً ما يُفْلت صيدُه من أشراكه ، ويطلبه فيعجز عن إدراكه ، فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل ، أيها النبيه النِّبيل ،

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وكان » .

(٢) في (ت) : « بمعتسف » .

(٣) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهى العيب . والذى فى كتب اللغة أنها تُجمع على هنات وهنوات .

(٤) ازور متجانفاً : مال متباعداً .

(٥) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وافتر متهانفاً : أى فتح فاه ضاحكاً مستهزئاً . وفى (ت) : « متهاتفاً » وهو تصحيف .

(٦) فى (ط) : « لا المحالة » .

(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ذى » ، وهو تحريف .

(٨) كذا فى (ط) . وفى (ت) : « وليس من تحته من طائل » . وفى نفح الطيب : « وليس تحته طائل » .

(٩) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق لأمسك : «أول من أمسِ » .

(١٠) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « ونسلم » ، وهو تحريف .

ثم نسردُ له من الأحاديث النبوية ما شِينا ، مما يُسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا ، كقوله ﷺ : « كل شىء بقضاء وقَدَر حتى العَجْز والكَيْس » . وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السَّماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشىء ، لم يَقْضِ اللّه لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يقضِ اللّه عليك ، لم يقدروا عليه » [1] ، أو كما قال ﷺ . فأُخلِقْ به أن يَلوذ بأكناف الإحجام ، ويَزُمّ على نَفْثة فيه كأنما أُلْجم بإلجام ، حينئذ نقول له ، والحق قد أبان وجهَه وجَلاَه ، وقهره بحجته وعَلاَه : ليس لك من الأمر شىء قل إنَّ الأمر كله للّه . وفى محاجّة آدم موسَى [2] مايقطع لسان الخصم ، ويَرْحضُ [3] عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَن الوَصْم ، وكيفما كانت الحال ، وإن أساء الرأىَ والانتحال ، ووقعنا فى أوجال وأوحال ، فثُلَّ عَرْشنا ، وطويت فُرُشُنا ، ونكِّس لواؤُنا ، ومُلِك مَثْوانا ، فنحن مِثْلُ مَن سِوانَا ، وفى الشر خِيار ، ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار [4] ، فحتى الآنَ لم نفقد من اللطيف تعالى لُطفًا ، ولا عَدِمنا [5] أدوات أدعية تعطف بلا مُهْلة على جُمْلتنا المقطوعة جُمَلَ النعم الموصولة عَطْفا ، وإلاَّ فتلك بغداد دار السلام ، ومُتَبَوّأ الإسلام ، المحفوفُ بفُرسان السيوف والأقلام ، مَثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفُضلاء

---

(١) الذى فى الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلاَّ بشىء قد كتبه اللّه لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلاَّ بشىء قد كتبه اللّه عليك » .

(٢) راجع صحيح البخارى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ .
(طه : ١١٧)

(٣) كذا فى (ط) ونفح الطيب . ويرحض : يغسل . وفى (ت) : « يدحض » ، وهو تحريف .

(٤) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .

(٥) فى (ت) : « ولعدمنا » ، وهو تحريف .

أُولى السير الأوَيْسيّة [١] ، والعقول الإياسية [٢] ، وقد تُوزلت بالجيوش ونُزلت ، وزُوولت بالزّحوف [٣] وزُلْزلت ، وتَحَيُّفَ [٤] جوانبها الحَيْف ، ودخلها كفار التُّتَار { عَنْوة } [٥] بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ، أيام تجلّت عروس المنيه ، كاشفة عن ساقها مُبْديَه ، وجرت الدماء فى الشوارع والطرق { كالأنهار } [٦] والأودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم فى رقابهم والأرديه ، وللنجيع [٧] سيول ، تخوضها الخيول ، فتخضبها إلى أرساغها ، وتَهُمُّ ظماؤُها بوِرْدها ، فتَنْكُل عن تجرُّعها ومَساغها ، فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولمَ يَغد ظالمُها ومتظلّمها ، وخَربت مساجدها وديارها ، واصْطُلم [٨] بالحُسام أشرارها وخيارُها ، فلم يبق من جمهور أهلها عين تَطْرِف ، حسْبما عرفت أو حسبما تعرف ، فلا تكن مُتَشككاً متوقفاً ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند مُؤَرِّخين من قفَا [٩] ، فأينَ تلك الجحافل ، والآراء المُدارَة فى المحافل ، حين أراد اللّه تعالى بإدالة الكفر ، لم تُجْد ولا قُلامة ظُفْر ، إذن فَمَنْ سَلمتْ له نفسه التى هى رأس ماله ، وعيالُه وأطفالُه ، اللذان هما من أعظم آماله ، وكلُّ أو جُلُّ أوْ أقَلُّ رياشه ، وأسباب معاشه ، الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ، ثم وَجَد مع ذلك سبيلاً إلى الخَلاص ، فى حال مُياسرة ومساهلة ، دون تصعب واعتياص [١٠] ، بعد ما ظن كل الظن أن

---

(١) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرنى ، وهو من سادات التابعين زهداً وعبادة ، وقد قُتِلَ بصفين .

(٢) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضى البصرة فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وكان معروفاً بشدة زكانته ، وحسن قضائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .

(٣) كذا فى (ط) ونفح الطيب ، وفى (ت) : « بالزحاف » .

(٤) تحيفة : تنقصه . (٥) ، (٦) زيادة عن (ت) ونفح الطيب .

(٧) النجيع : الدم الأحمر . (٨) اصطلم : استؤصل .

(٩) يشير إلى المثل المضروب : « أشهر من فقا نبك » . وهى مطولة امرىء القيس المشهورة .

(١٠) اعتاص الأمر عليه : اشتد والتاث ، فلم يهتد للصواب .

لا مَحيدَ ولا مناص ، فما أحقه حينئذ وأَوْلاه ، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ، على ما أسداه إليه من رِفده وخيره ، ومعافاته مما ابْتُلِى به كثير من غيره ، ويَرْضَى بكل إيراد وإصدار ، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار ، فالدهر غَدّار ، والدنيا دار مشحونة بالأكدار ، ولقضاء لا يُرَدُّ ، ولا يُصَدُّ ، ولا يغالَب ، ولا يُطالَب ، والدائرات تدور ، ولا بد من نقص وكمال للبدور ، والعبد مطيعٌ لا مُطاع ، وليس يُطاع إلاّ المُسْتَطاع ، وللخالق القدير جلّت قدرته فى خليقته علم غيب ، للأذهان عن مداه انقطاع ، ومالى والتكلّفَ لما لا أحتاج إليه من هذا القول ، بين يدى ذى الجَلالة والمجَادة والفضل والطَّوْل ، فله من العقل الأرجح ، ومن الخُلُق الأسجح ، ما لا تَلْتَاطُ [1] معه تهمتى بصَفَره [2] ، ولا تَنْفق عنده وشاية الواشى ، لا عُدٌّ من نَقَره ، ولا فاز قِدْحُه بظَفَره ، والمولى يعلم أنّ الدنيا تلعب باللاعب ، وتجرّ براحتها إلى المتاعب ، وقديماً للأكياس من الناس خَدَعَتْ ، وانحرفت عن وِصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ، وفعلت بهم ما فعلتْ ، بيَسَار الكواعب التى جَبَّتْ وجَدَعَتْ [3] . ، ولئن رَهَصَت وهَصَرْت [4] ، فقد نبَّهت وبَصَّرَت ، ولئن قَرَّعَتْ ومَعَّضَتْ [5] ، فقد أرشَدَتْ ووعَظَتْ ، ويا ويْلنا منْ تَنَكُّرها لنا بمرّه ، ورميها لنا فى غَمرة أىّ غَمره ، أيامَ [6] قَلَبَت لنا ظَهْرَ المِجَنّ ، وغَيَّم أفقها المُصْحِى وأدْجَن [7] ، فسَرْعان ما عاينّا حبالها مُنْبَتَّه ، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته ، فمَنِ استعاذ من شىء ، فليستعذ مما صِرْنا [8] إليه ، من الحَوْر بعد الكَوْر [9] ، والانحطاط من النَّجْد إلى الغوْر :

---

(١) تلتاط : تلصق .

(٢) الصغر - بالتحريك - : اللُّب والعقل .

(٣) الجب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يساراً راود بنت مولاه عن نفسها ، فجبت مذاكيره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبى) .

(٤) الرهص والهصر : العصر والأخذ الشديد .

(٥) معضت : أغضبت

(٦) فى (ط) : « وإن قلبت » .

(٧) أدجن : أظلم .

(١٨ فى (ت) : « سرنا » .

(٩) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

فبينا نَسُوس النَّاسَ والأمر أمرُنا إذا نحنُ فيهمْ سُوقَةٌ نتنصَّفُ [1]

فَـأُفٍ لدنيـا لا يـدوم نعيمها تَقَلَّبُ تـارات بنـا وتَصَـرُّفُ

وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرَّعتنا من صاب [2] الأوْصَاب كأساً دهاقا [3] ، ولم نفزع إلى غير بابكم المنيع الجَناب ، المنفتح حين سُدَّت الأبواب ، ولم نلبَس غير لباس نَعْمائكم حين خَلَعْنا ما ألبسنا المُلك من الأثواب ، وإلى أُمّه يلجأ الطفل لَجَأَ اللَّهْفَان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجْفان [4] ، ووجه الله تعالى يبقى ، وكلُّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا [5] وكفان ، ولا ريب من اشتمال العِلْم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ، من الأخذ باليد عند زَلَّة القَدَم ، وقَرع الأسنان وعض البنان من النَّدم ، دينا به تَدَيَّنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطَّردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عَرَض علينا صاحب قَشْتالة مواضعَ معتبرة ، خيَّر فيها وأعطى من أمانه ، المؤكَّد فيه خَطُّه بأيمانه ، ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصُّفْر ، ولا سَوَّغ لنا الإيمان الإقامة بين ظَهْرَانَى الكُفر ، ما وجَدْنا على ذلك مَنْدُوحة ولو شاسعه ، وأمنّا من المَطَالب المُشاغب حُمَةَ شرٍّ لنا لاسعه ، وادَّكَرْنا أىّ ادكار ، قولَ الله تعالى المنكِر لذلك غاية الإنكار : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً ﴾ [6] ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) تتنصف : تطلب النُصفة ، وهى الإنصاف .

(٢) كذا فى (ط) ونفح الطيب . والصاب : عصارة شجر مر ، وفى (ت) : « كأس » .

(٣) دهاقاً : مملوءة .

(٤) فى (ط) : « تمتاز السيوف فى الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ، وهو الظلام .

(٥) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وفى (ت) : « الله » .

(٦) النساء : ٩٧

المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مُؤْمن مع كافر لا تتراءى ناراهما » [1] ، وقول الشاعر الحاثّ على حَثّ المطيه ، المتثاقلة عن السير فى طريق مَنجاتها البَطيّه :

وَمَا أنا والتلَدُّدَ نحو نجْد وقد غُصَّت تِهامة بالرِّجَالِ [2]

ووصلت { أيضاً } [3] إلينا ، من الشرق [4] كتبٌ كريمة المقاصد لدينا ، تستدعى الانحياز إلى تلك الجَنبات [5] ، وتتضمن ما لا مَزيد عليه من الرغبات ، فلم نختَرْ إلاّ دارنا ، التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواء إلاّ لمن بحبله وُصِلَ حَبْلُنا ، وبريش نَبله رِيش نبلُنا : إدلالاً على مَحلّ إخاء متوارَث لا عن كلاله ، وامتثالاً لوَصاة أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالةُ وجَلاله ، إذ قد رَوَيْنا عمن سلف من أسلافنا ، فى الإيصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ، ألاّ يَبْتغوا إذا دَهَمهم داهم بالحضرة المَرينية بَدَلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجُّه إلى فريقها مَعْدِلا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة الفِجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأُجَاج ، فلا غَرْو أن نرد منه على ما يُقِرّ العين ، ويشفى النفس الشاكية من ألم البَيْن ، ومَنْ تَوصّل هذا التوصُّل ، وتوسّل بمثل ذلك التوسّل ، تطارُحاً على سُدّة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ، والمؤمِّن للمستأمنين ، فهو الخليق الحقيق ، بأن يُسَوِّغ أصفى مشاربه ، ويُبَلِّغ أوفى مآربه ، على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويَخْلُص من الثُّبور إلى الحُبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ، ولعلّ شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة

---

(١) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العرب (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك » ، قيل : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : « لا تراءى نارهما » . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٢) التلدد : التلفت . وفى الأصلين ونفح الطيب : « التلذذ » ، وهو تصحيف .

(٣) زيادة عن (ت) ونفح الطيب .

(٤) فى (ط) : « المشرق » . (٥) فى (ط) : « الجهات » .

قَبول إقباله تسرى إلينا ، فتخامرَنا أُريحيَّة تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضىّ فى الخليفة القادر :

عَطْفًا أميـرَ المؤمنيـن فإنّنا ... فـى دَوْحـة العلياء لا نتَفرقُ

ما بيننا يـوم الفَخار تفاوتٌ ... أبداً كلانا فـى المعالى مُعْرِق

إلاّ الخـلافةَ مَيَّزَتْك فإننـى ... أنا عاطـل منها وأنت مَطَوَّق

لا ، بل الأحرى بنا والأحْجَى ، والأنجح لسعينا والأرجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدى عُلاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج ، وينشد ما قال فى الشِّيرازى ابن حَجَّاج [1] :

الناس يَفْـدونك اضْطِراراً ... منهم وأُفْديـك باخْتـيارِى

وبَعْضُهم فـى جوار بعض ... وأنتَ حتـى أُمُوتَ جَارِى

فعِشْ لخُبـزِى وعش لمائى ... وعش لدارى وأهـلِ دَارِى

ونستوهب من المَنّان الوهّاب تعالَى وجلّت أسماؤه ، وتعاظمت نعماؤه ، رحمة تجعل فى يد الهداية أعِنَّتَنَا ، وعصْمة تكون فى مواقف المخاوف جُنَّتَنَا ، وقَبولاً يُعَطِّف علينا نَوافر القلوب ، وصُنْعاً يُسَنِّى لنا كل مرغوب ومطلوب ، ونسأله ، وطالما بلّغ السائل سُؤْلاً ومأمولاً ، مَتاباً صادقاً على موضوع النَّدم محمولا ، ثم عَزاءً حسناً وصبراً جميلاً ، عن أرض أورثها مَنْ شاء من عباده مُعْقباً لهم ومُديلا ، وسادلاً عليهم من سُتور الإملاء [2] الطويلة سُدولا ، ﴿ سُنَّةَ اللَّه الَّتِى قَدْ خَلَتْ من قَبْلُ ، وَلَن تَجدَ لسُنَّة اللَّه تَبْديلاً ﴾ [3] . فليطِر طائرُ الوَسْواس المُرَفرِفُ مَطيرا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، ولم نستطع عن مورده صُدورا ، وكان أمرُ اللّه قَدَراً مَقْدُورا .

---

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات من أبيات خمسة قالها فى أبى الفضل الشيرازى (انظر يتيمة الدهر للثعالبى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٢) الإملاء : الإمهال .

(٣) الفتح : ٢٣

ألا ، وإنَّ للّه سُبحانه فى مَقامكم العلىّ الذى أيّده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النَّصْل ، وتَرجع فروع البشائر الصادقه ، بالفتوحات المتلاحقه ، من قاعدته المتأصلة إلى أُصْل ، فبمثله يجب اللّياذ والعِياذ ، ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا اللّه تعالى واستخرناه ، ومنه جلَّ جَلالُه نرغب أن يَخير لنا ولجميع المسلمين ، ويُؤوِينَا [١] من حمايته ووقايته إلى مَعْقِلٍ مَنيع ، وجناب [٢] { رفيع } [٣] ، آمين ، آمين ، آمين .

نرجو أن يكون ربُّنا ، الذى هو فى جميع الأمور حَسْبُنا ، قد خارَ لنا حيثُ أرشدنا وهَدَانا ، وساقنا توفيقه وحَدَانا ، إلى الاستجارة بمَلِك حَفِىٍّ ، كريمٍ وَفِىٍّ ، أعزَّ جاراً من أبى دُواد [٤] ، وأحْمَى أنْفاً من الحارث بن عُباد [٥] ، يشْهد بذلك الدانى والقاصِى والحاضرُ والباد ، إن أغاث مَلهوفا فما الأسود بن قَنان [٦] يُذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالك فما كعب بن مَامَةَ على فِعْله وحْدَهُ [٧] يُشكر ،

---

(١) فى (ط) : « ويوردنا » . وفى نفح الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة : « وجناب » : ساقطة من (ت) . (٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) أبو دواد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقى الإيادى . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره وأحسن إليه ، فضُرِبَ المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دواد) .

(٥) يشير إلى حميه الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيراً ابنه وقوله له : بؤ بشسع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال فى قصيدته المعروفة :

« قُربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيالى »

(٦) لم نجد شيئاً عن الأسود بن قنان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أُثِرَ عن كعب بن مامة الإيادى من أنه آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى ، فمات عطشاً ، وضُرِبَ به المثل فى الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربا ، والمضاف والمنسوب للثعالبى) .

جَليسه كجليس القَعْقاع بن شَور [١] ، ومُذاكره كمذاكر سُفْيان [٢] المنتسب من الرِّباب [٣] إلى ثَوْر ، إلى التحلّى بأمّهات الفضائل ، التى أضدادها أمهاتُ الرذائل ، وهى الثلاث : الحكمة ، والعدل ، والعفة ، التى تشملها الثَّلاث : الأقوال ، والأفعال ، والشمائل ، وينشأ منها ما شئتَ [٤] من عزْم وحزْم ، وعلم وحِلم ، وتيقظ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصَول وطَول ، وسَماح ونائل ، فبنور حلاه المُشْرِق ، يفتخر المَغْرِب على المَشرِق ، وبمحتِده [٥] السامى خطره فى الأخطار ، وبيته الذى ذكره فى النباهة والنجابة قد طار ، يُباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرفيع المُنْتَمَى والنِّجار ، الراضع من الطهَّارة صفو ألبان [٦] ، الناشىء من السَّراوة وسْط أحْجار ، فى ضِنْضىء [٧] المجد ، وبُحبوح الكَرَم ، وسَرَاوة أُسرة المملكة التى أكنافها حَرَم ، وذُؤابة الشَّرَف التى مُجَاذبتها لم تُرَم ، مِنْ مَعْشَر أىَّ مَعْشر ، بَخلوا إن وَهَبُوا ما دون أعمارهم ، وجَبُنوا إن لم يَحْمُوا سِوى ذِمارهم ، بنو [٨] مرين ، وما أدراكَ ما بنو مَرين :

..... سَمُّ العُداةِ وآفَةَ الجُزْرِ [٩]

النَّازلون بكلِّ مُعْتَركٍ والطيبون مَعَاقِـــدَ الأُزْرِ

---

(١) القعقاع بن شور : تابعى يُضرب به المثل فى حسنَ المجاورة ، كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حوائجه . (انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة : قعقع) .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، تابعى من كبار رجال الحديث .

(٣) الرِّباب - بالراء المشددة المكسورة - : الجماعات ، وتُطلق على قبائل عوف وثور وأشيب وضبة عمهم ، سموا بذلك لتفرقهم .

(٤) كذا فى (ت) ونفح الطيب والاستقصا للسلاوى . وفى (ط) : « ناشئة » .

(٥) فى نفح الطيب : « وبمحده » .

(٦) فى (ت) : « اللبان » .

(٧) الضنضىء : الأصل .

(٨) فى (ط) : « فبنو » .

(٩) هذا عجز بيت ، وصدره : « لا يبعدن قومى الذين هم » . وهذا البيت الذى يليه من قصيدة لخرنق بنت هفان ترثى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمالى جـ ٢ ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

لَهُمْ مِنَ الْهَفَوات انْتِفَاء ، وعندهم من السِّيَر النَّبوية اكتفاء ، انتسبوا إلى بَرَ ابن قَيْس [١] ، فخرجوا فى البرّ عن القَيْس [٢] ، مالُهم القديمُ المعروف ، قد نَفَدَ فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزُّحوف [٣] ، من طُرُق القنا والسُّيوف ، على الحَسَن من المقاصد موقوف [٤] ، تَحْمَد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابِلَهم ولَدْنَهم ، فلله آباءٌ أنجبوهم ، وأُمَّهاتٌ وَلَدْنَهُمْ :

* شُمُّ الأنوف مِنَ الطِّرَازِ الأوَّلِ * [٥]

إليهم فى الشدائد الاستناد ، وعليهم فى الأزَمات المُعَوَّل ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء ، والعناية [٦] والحماية والرعاية ، الخطو الواسع ، والباع الأطول ، كأنما عناهم بقوله جَرْول [٧] :

أُولَئِـــك قَـــوْمٌ إِنْ بَنَـــوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى ... وإِنْ عَاهدَوْا وفَّوْا وإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وإِنْ كانتِ النُّعماءُ فيهم جَزَوْا بها [٨] ... وإِن أَنْعَمُوا لا كَـدَّرُوها ولا كَدُّوا

وتَعْذُلُنِى أبناء [٩] سَعْد عليهمُ [١٠] ... ومـا قلتُ إلاَّ بالتـــى علمتْ سَعْـدُ

---

(١) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة : بر) .

(٢) القيس : القياس والتقدير .

(٣) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٤) فى (ط) : « موصوف » .

(٥) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الغساسنة ، وصدره : « بيض الوجوه كريمة أحسابهم » .

(٦) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة فى (ت) .

(٧) جرول : اسم الحطيئة الشاعر المخضرم المعروف .

(٨) رواية هذا الشطر فى مختارات ابن الشجرى : « وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها »

(٩) من مختارات ابن الشجرى : « أفناء » . والأفناء : الأخلاط .

(١٠) يُروَى : « وقد لامنى أفناء سعد عليهم » .

وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :

قَوْمٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لجارهِم شَدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا [1]

يُزيحون عن النزيل كل نازحٍ قاصمٍ ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم[2] أحق بما قاله فى منْقَرٍ قيسُ بن عاصم [3] :

لا يَفْطُنُون لعيبِ جارِهِم وهُمُ لحِفْظِ جِوارِه فُطُنُ [4]

حَلاَّهم هذه الغريزةَ التى ليست باستكراه ولا جَعْل ، أميرُ المؤمنين ، دام نصره ، قَسيمُهُم فيها حذوَ [5] النعل بالنعْل ، ثم هو عليهم وعلى مَن سِواهم بالأوصاف المُلُوكية مُسْتَعْل ، ارفَضَّ مُزْنُهُم منه عن غيث مُلِثّ يمحو أثار اللَّزْبه [6] ، وانشق غيلُهُمْ منه عن ليث ضار مُنقبض على بَرَاثنه للوَثْبه [7] ، فقُل لسكان الفَلا : لا تَغُرَّنَّكُمْ أعدادُكم وأمدادُكم ، فلا يُبالى السَّرْحان المَواشى . سَواء مشى إليها النُّقَرَى أو الجَفَلَى [8] ، بل يصدِمُهُمْ صَدْمَةً تَحْطِمُ منهم كلّ عِرنين ، ثم يبتلع بعدُ

---

(١) العناج : عروة فى أسفل الغرب من باطن ، تُشَدُّ بوثاق إلى أعلى الكرب ، وهو الحبل الذى تعلق فيه الدلو من عرقوتيها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو أن تقع فى البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقداً لجارهم أحكموه .

(٢) كذا فى (ط) . وفى (ت) ونفع الطيب والاستقصا للسلاوى : « فهو » .

(٣) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٤) هذا البيت من أبيات لقيس مطلعها : « إنى امرؤ لا يعترى حسبى ونسى يفنده ولا أفن »

(٥) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « حذوك » .

(٦) الزبة : الضيق والشدة .

(٧) يشير إلى قول النابغة : « وقلت يا قوم إن الليث منقبض على براثنه للوثبة الضارى »

(٨) مشى إليها النقرى أو الجفلى ، أى دهمها وحده أو مع غيره .

أشلاءَهم المُعَفَّرة ابتلاع التِّنِّين [1] ، فهو هو كما عرفوه ، وعَهِدوه وألفوه ، أخو [2] المنايا ، وابن جلا [3] وطلاعُ الثَّنايا [4] ، مجتمعٌ أشُدُّه ، قد احتنكتْ سِنّه [5] وبان رُشدُه ، جادّ مجدّ ، محتزم بحزام من الحَزْم ، مُشَمِّر عن ساعد الجِدّ :

لايَشرَبُ الماءَ إلاّ مِنْ قَليب دمٍ ولا يَبيت له جارٌ على وَجَل [6]

أسَدىُّ القلْب آدَمِىُّ الرُّواء ، لابس جلدَ النَّمر لذوى العِناد والنِّواء [7] :

وليس بشـــاوىٍّ عليـــه دَمـــامة إذا ما سعى يسعى بقوس وأسْهُم [8]

ولكنَّهُ يسعَى عليه مُفَاضَةٌ [9] دِلاص كأعْيـــانِ الجـــرادِ المَنَظَّم [10]

فالنجاءَ النجاءَ سامعين له طائعين ، والوحَاءَ الوحاءَ [11] لاحقين به خاضعين ، قبل أن تساقُوا إليه مُقَرَّنين فى الأصفاد ، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال على الفاد [12] ، حينئذ يَعَض ذو الجهل والنَّدامه [13] ، على يديه حسرة وندامه ،

---

(١) التنين - بكسر أوله - : الحية العظيمة . (٢) فى (ط) : « وأخو » .

(٣) يقال : هو ابن جلا : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة . وطلاع الثنايا : مَن يسمو لمعالى الأمور .

(٥) احتنكت سنه : قويت تجاربه .

(٦) القليب : البئر . وهذا البيت من صيدة لأبى سعيد المخزولى . (انظر الأمالى جـ ١ ص٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية) . (٧) النواء : المناوأة ، وهى المعاداة .

(٨) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة (شوه) :

« ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم »

وهوالذى بعده ليزيد بن عبد المدان .

(٩) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولكنى أغدو على مفاضة » .

(١٠) المفاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البرّاقة الملساء .

(١١) كذا فى الأصلين . والوحاء : السرعة . وفى نفح الطيب : « والوجل الوجل » .

(١٢) الفاد : الفادى ، وهو مَن يفديهم بالمال .

(١٣) الفدامة : العى عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

إذا رأى أبطال الجنود ، تحت خَوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهم نار ليست بذات خُمود ، وأخذتهم مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ، زَعَقَات سَبَطانات [١] تؤز [٢] الكتائب أزّا ، وهمزاً محققاً للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة هَمزا ، وسَلاً للهندية سَلاًّ وهزاً للخَطّية هَزّا ، حتى يقول النَّسْر للذئب : هل تُحِسُّ منْهُمْ مِنْ أحَدٍ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً [٣] . ثق خليفة الله بذاك ، فى كل مَن رام أذَى رعيتك أو أذاك [٤] ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشّقاق والنِّفاق ، الذين يَشُقّون عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق [٥] ، ويَنْصِبون حَبَائل البَغْى والفساد فى جميع النّواحِى والآفاق ، فلَنْ يجعلهُمُ الله عَزَّ وجَلَّ من الآمنين ، أنّى وكَيْف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يُصلح عمل المفسدين ، ولايهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجوه صلوات التقديس والتعظيم ، بعد ما زيّنا معاطفها باستعطافكم بدُرّ ثناء أبهى من دُرّ العقد النظيم ، منتظمين فى سلك أوليائكم [٦] ، متشرفين بخدمة عَليائكم ، ولا فَقَد عزة ولا عدمها ، مَنْ قصد مَثَابَتكم العزيزةَ وخَدَمها ، وإن المترامىَ على سنائكم ، لجدير بحرمتكم واعتنائكم ، وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حِصْنا حصينا ، عاش بقية عمره محروساً من الضيم مصونا ، وقد قيل فى بعض الكلام : مَن قعدت به نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام ، ومولانا أيّده الله تعالى ولىٌّ ما يَزُفّه إلينا من مكرُمة بِكْر ، ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلّد فى صحائف [٧] حسنِ الذكر ،

---

(١) سبطانات : جمع سبطانة ، وهى آلة يُرمى بها فى الحرب ، (مولّدة) .

(٢) تَؤزهم : تحركهم بشدة . (٣) ركزاً : صوتاً خفياً .

(٤) كذا فى (ت) ونفح الطيب . وفى (ط) : « وأذاك » .

(٥) فى (ت) ونفح الطيب : « الرفاق » .

(٦) فى (ط) : « ومنتظمين فى سلك أولائكم » .

(٧) فى (ت) : « الصحائف » .

ويَرْوِى مُعنعنَ حديثِ حمده وشكرِه طِرْسٌ عن قَلَمٍ عن بَنَانٍ عن لسان عن فكر ، وغيره مَن ينام عن ذلك فيُوقَظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يُذكَّر ويُوعَظ ، وما عُهِد مُنذ وُجِدَ إلاَّ سريعاً إلى داعى الندَى والتكرُّم ، بريئًا من الضَّجَر بالمطالبة والتبرّم ، حافظاً للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرغاً وسعه فى رَعْيه المستمرِّ ولحظه ، آخذاً من حُسن الثناء فى جميع الأوقات والآناء بحظّه :

فهو من دَوْحة السَّنا فرعُ عِزّ ... ليس يحتـــاج مُجتنيـه لهـزّ
كفُّه فـى الإمحال أغزر وَبْل ... وذَراه فى الخوف أمنـع حِرْزِ (١)
حلمه يُسْفـــر اسمه لك عنهُ ... فتفهَّم يا مدعى الفهم لُغْزِى (٢)
لا تسله شيئـــاً ولا تستنلـه ... نَظْرة منه فيـــك تُغْنـــى وتُجْزِى
فنَـــداه هـو الفُـرات الذى قد ... عام فيـــه الأنـــام عـَوْم الإوَزّ
وحِمـــاه هـــو المَنيع الذى تر ... جع عنـــه الخطـوب مَرْجِع عَجْز
فَـــدَعُـــوا ذهنه يزوال قَوْلِى ... فهـــو أدرى بما تضمن رمـــزى
دام يُحْيِـــى بكل صُنْع ومَنّ ... ويعافِـــى مـــن كل بؤس ورِجْزِ

وكأنَّا به قد عَمِل على شاكلة جلاله ، من مدّ ظلاله ، وتمهيد خلاله ، وتلقّى ورودنا بحسن تهلُّله واستهلاله ، وتأنيسنا بجميل قَبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوْض كَوْثره المُتْرع بزُلاله . والله [سبحانه] (٣) يُسْعد مَقامه العَلِىّ ، ويُسعدُنا به فى حَلّه وارتحاله ، ومآله وحاله ، ويؤيد جنده المظفَّر ، ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوّه واستنزاله ، وهَزّ الذوابل (٤) لإطفاء ذُباله ، وهو سبحانه

---

(١) ذراه : كنفه .

(٢) لعله يريد أن الحلم يلحظ فى اسمه (الشيخ) ، لأن مع الشيخوخة الرزانة والهدوء .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) الذوابل : الرماح ، جمع ذابل .

وتعالى المسئول أن يُريه قُرَّة العين فى نفسه وأهله وخُدَّامه وأمواله ، وأنظاره [1] وأعماله ، وكافة شئونه وأحواله . وأحق ما نصل بالسَّلام وأولى ، على المقام الجليل مَقام الخليفة المولَى ، أزكى الصلاة والسلام على خاتمة [2] أنبياء اللَّه وأرْسَاله [3] ، سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاةً وسلاماً دائمين أبدا ، موصولين بداوم الأبد واتصاله ، ضامَنَيْن لمُجَدَّدهما ومردِّدهما صلاح فاسد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة اللَّه تعالى وإذنه وفضله وإفضاله .

« انتهى الكتاب ، وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعاظم الكِبار » .

* * *

(١) كذا فى (ط) ونفح الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به ما يتولى النظر عليه من الأعمال . وفى (ت) : « أقطاره » .

(٢) كذا فى (ط) ونفح الطيب . وفى (ت) : « خاتم » .

(٣) يريد رسله ؛ والأرسال : غير مسموع فى هذا المعنى .

دكتوررشدى فكّار

● المؤهلات . والعمل . والإنتاج .. باختصار :

- من مواليد الكرنك بمحافظة قنا - جنوب مصر العربية .

- بعد أن التحق بمعهد قنا الدينى ، ثم معهد القاهرة الدينى بالأزهر وتخرّج منه وحصوله على البكالوريا الفرنسية أيضاً بالمعادلة ، وأصل دراسته فى مصر ، ثم تابعها فى أوروبا بالقسم العلمى للدراسات العليا بالسوربون ، حيث تخرّج منه بحصوله على دبلومه فى الدراسات العليا ، كما حصل فى نفس الوقت على ليسانس الآداب « تخصص فلسفة بالمعادلة » من جامعة چنيف .

- حصل على دبلومين فى الدراسات العليا من باريس أحدهما فى الاجتماع ، والآخر فى العلاقات الدولية .

- حصل على درجة دكتوراة من جامعة باريس مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٥٦

- تُوِّجت حياته الدراسية الجامعية بحصوله بعد الدكتوراة السابقة ، على مرتبة الأستاذية مع درجة دكتوراة دولة أخرى من جامعة چنيف عام ١٩٦٧

* * *

● الوظائف الجامعية التى تقلدها .. والعضوية فى الأكاديميات العالَمية والجمعيات والمؤتمرات الدولية ، وإقرار ترشيحه لجائزة نوبل فى الآداب منذ ٣ أكتوبر سنة ١٩٦٧ :

- مكلّف بمحاضرت بالسوربون فى القسم العلمى للدراسات العالية بعد تخرجه منه لمدة عام .

- محاضر فى جامعة چنيف بمعهد الألسن وكلية الآداب .

- عمل أستاذاً محاضراً بمعهد العلوم الإجتماعية بجامعة محمد الخامس التابع لمؤسسة اليونسكو تحت إشراف جامعة نيوشاتل (١٩٦٢ - ١٩٦٣) .

- أستاذ زائر بجامعة نيوشاتل وجامعة چنيف منذ سنة ١٩٦٤

- أستاذ بجامعة محمد الخامس منذ سنة ١٩٦٨

- أستاذ زائر بالعديد من الجامعات الأوروبية والعربية الأخرى .

- شارك فى الإشراف على الكثير من الرسائل وأطروحات الدكتوراة المقدّمة فى الجامعات الأوروبية والعربية .

- ينتسب بالعضوية لأكثر من ٤٢ جمعية دولية ، وأكاديمية ، ومؤتمراً عالَمياً مثل :

- عضويته لجمعية استرنبرج الإسكندنافية بالسويد .

- عضويته بالهيئة العالَمية للكتاب بالفرنسية « أدلف » (A . D . E . L . F .) بباريس .

- انتُخِبَ عضواً مشاركاً فى الأكاديمية الفرنسية للعلوم بمجامع الخالدين - دائرة ما وراء البحار - منذ ١٦ فبراير سنة ١٩٧٣

- أُقِرَّ ترشيحه لدى الأكاديمية السويدية « لجائزة نوبل فى الآداب » منذ ٣ أكتوبر سنة ١٩٧٣ بمساندة هيئات عالَمية ، وإسلامية ، وعربية منها :

أكاديمية العلوم الفرنسية ، وجامعة چنيف ، والهيئة العالَمية للكتاب بالفرنسية « أدلف » ، وتزكية مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، ومنظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم « الكسو » . والمجالس القومية المتخصصة برئاسة الجمهورية بمصر ..

إلى غير ذلك من الهيئات والمنظمات الفكرية والعلمية العربية الإسلامية والعالَمية .

* * *

● الإنتاج العلمى :

- يتجاوز إنتاجه العلمى حالياً ١٤٠ بين مؤلفات ودراسات وأبحاث وترجمات ، وتعليقات باللُّغة الفرنسية أساساً ، والعربية والإنجليزية .

لمزيد من التفصيل عن هذا الإنتاج يراجع « الكتالوج الدولى لجامعة جنيف .. وكتالوج المكتبة الوطنية بباريس » ..

* * *

● فى الإنتاج العالَمى بالفرنسية والإنجليزية ...على سبيل المثال :

- السوسيولوچيا (علم الاجتماع) والاشتراكية الدولية ، وأصول الماركسية فى مجلدين (عدة طبعات فى عدة لغات) عن دار النشر العالَمية « دولا شونستليه - نيوشاتل وباريس » سنة ١٩٦٨

- المراهنة الصناعية فى خمس مجلدات بالاشتراك مع أعضاء فى الأكاديمية الفرنسية ، وأستاتذة من الجامعات فى دول الكتلة الشرقية خصوصاً المجلد الخامس عن « الصناعة وأزمة الحضارة » منشورات « دى نويل » .. « كويلج دى فرانس » والأكاديمية الفرنسية سنة ١٩٧٢

علم الاجتماع ، وعلم النفس والإنثروبولوچيا الاجتماعية ، معجم موسوعى عالَمى ، أربعة أجزاء في مجلدين ، مصطلحات وأعلام ، بالفرنسية والإنجليزية والعربية ، باريس ، دار النشر العالَمية جتنير (١٩٨٠ - ١٩٨١) .

* * *

● وفى الإنتاج بالفرنسية عن 'لعالَم العربى والإسلامى :

- نظرية القلق عبر الفكر الاجتماعى الإسلامى - الفرج بعد الشدة - عن دار النشر العالَمية .. أدريان ميزونيف بباريس ١٩٥٥

- تأملات فى الإسلام .. فى عدة طبعات - عن دار النشر العالَمية ميزونيف لاروز بباريس سنة ١٩٧٣